ومن هنا، نلمس ما يشبه الإجماع لدى النقّاد ودارسي الأدب، يلتقي حول الإقرار بأن رواية «زينب» لمحمد حسين هيكل، هي أول رواية ظهرت بالعربية. وقد نشرت في سنة ١٩١٤، رغم أن تاريخ كتابتها يعود إلى سنوات سابقة، كان فيها الكاتب يتلقّى علومه في فرنسا..

لقد وُضعت هذه الرواية بفعل احتكاك كاتبها بالثقافة الاوروبية واطلاعه على آدابها وتأثره بها، مع محاولته المساس بواقعه والاجابة على أسئلته، بحيث يمكن القول ان هذه الرواية، التي وضعت اللبنة الأولى في الرواية العربية، هي من تأثيرات الثقافة الأوروبية، في شكلها على الأقل.

إذن، فإن قصص البطولة الملحمية، والنوادر، والمقامات، والحكايات، وغيرها من الأشكال النثرية في الأدب العربي، التي تقارب أشكال القصة أو الرواية، لم تشكل جذوراً للرواية العربية الحديثة؛ فقد تنامت الرواية بمنأى عن هذه الأشكال واحتفظت بفرادتها وتميزها.

.. لقد ولدت الرواية العربية من معطف الرواية الغربية.

٢

ولعل الصورة في فلسطين تقارب مثيلاتها في الوطن العربي، دون أن يعني ذلك نفي خصوصية كل بلد من هذه البلدان وتجربته السياسية والاجتماعية والثقافية. لكن الاتصال الثقافي بين بلدان مصر وسوريا ولبنان وفلسطين، بشكل خاص، خلق حالة من الاحتكاك والتلاقي الثقافي، في جوانب متعددة.

وعلى صعيد بدايات ظهور الرواية الفلسطينية، ثمة اشارات تؤكد ظهورها في القرن الماضي. ففي الجزء الثاني من كتاب «أعلام الأدب والفن» اشارة إلى أن الشيخ أحمد التميمي، من الخليل، هو «أول من أبرز رواية بالعربية وسمّاها (أم حكيم)»[٤]. وفي كتاب «تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين» للأب لويس شيخو، إشارة إلى اسم ميخائيل بن جرجس عوراء، ومولده عكا، الذي ذُكر انه ترك آثاراً أدبية تحتوي على روايات مختلفة[٥].

ان مثل هذه الاشارات، عملياً، لا تعني شيئاً، فهي لا تومئ إلى البداية الفعلية، إذ تكتفي بالتنقيب عن عناوين وأخبار ضاعت ولم تترك أثراً؛ كما أنها لم تشكّل الجذور التي قامت عليها المحاولات الأولى للرواية الفلسطينية لاحقاً.

فقد ولدت الرواية الفلسطينية، هي الأخرى، كمثيلتها في الوطن العربي، من معطف الرواية الغربية.

٣

ينفي الدكتور ناصر الدين الأسد أن يكون للقصص الشعبية الفلسطينية أي أثر مباشر في القصة الفلسطينية الحديثة، في المراحل الأولى من نشأتها؛ كما ينفي أن يكون